

اثر وسائل التثقيف على الاتصال الأسري

أ. نادية فرحات
جامعة شلف - الجزائر

المقدمة

تعتبر الأسرة الوحدة الأساسية والأولى في تكوين المجتمع، فكل التغيرات التي تحدث فيه تؤثر عليها وعلى سلوك أفرادها وقد يأخذ التغير شكلا معنويا يمس القيم والعادات السائدة في المجتمع، أو شكلا ماديا يتمثل في تأثير التكنولوجيا على الحياة الاجتماعية، إذ نجد في عصرنا الحاضر الأسرة الجزائرية قد تنازلت عن بعض الأدوار والوظائف وقاسمتها في ذلك مؤسسات وسائل أخرى كوسائل التثقيف المتمثلة في المطبوعات (الكتب والمجلات، والجرائد) والمذياع والتلفزيون، التي أصبحت ترافق الفرد وتتواصل معه عدة ساعات من يومه إذ هي تشغل معظم وقت فراغه، وبغض النظر على أن هذه الوسائل ترفيهية فهي وسائل تدعم ثقافة المجتمع وتعمل على تثقيف أفرادهم وتوعيتهم وإكسابهم القيم والمفاهيم المتعارف عليها اجتماعيا، ورغم أنه في بادئ الأمر قوبلت بالرفض من طرف الأسرة الجزائرية فقد كانت تراها دخيلة عليها منافية لعاداتها وتقاليدها وتحدد ثقافة وشخصية وهوية أفرادها، غير أن الأسرة الجزائرية وجدت نفسها تتقبل تلك الوسائل تدريجيا حتى أصبحت جزءا منها واستخدمتها بطريقة تخدم مصالحها، وفتحت لها المجال للتعرف على الثقافات العالمية، هذا من جهة ومن جهة أخرى تغير سلوك أفرادها وتحولت الجلسات الحميمة حول الجدة وحكاياتها إلى الاجتماع حول التلفزيون أو الاستماع إلى المذياع، أو حتى الجلوس للقراءة لكن بأسلوب جاف لا مناقشة فيه.

فالتغير الذي أحدثته وسائل التثقيف أثر على سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم، إذ أصبحوا يجتمعون مع بعضهم البعض إناثا وذكرورا باختلاف سنهم ومستواهم الثقافي لمناقشة بعض المواضيع الاجتماعية والثقافية والعائلية، لم تكن تطرح من قبل ولم يكن يبدي الرأي فيها.

و نظرا للانتشار الواسع لوسائل التثقيف في معظم الأسر الجزائرية باختلاف توجهاتهم الثقافية، والدور الفعال الذي قامت به في تثقيف وتوعية أفرادها، فإن العلاقات الأسرية تغيرت وكذا سلوكيات أفرادها، وهذا أدى بدوره إلى تغير الاتصال داخل الأسرة الجزائرية، والمحاولة الكشف عن علاقة وسائل التثقيف بالاتصال داخل الأسرة الجزائرية كانت التساؤلات التالية:

- هل هناك فعلا علاقة بين وسائل التثقيف والاتصال داخل الأسرة الجزائرية؟
 - هل وسائل التثقيف باعتبارها ترفيحية تعمل على تدعيم الاتصال داخل الأسرة؟
 - ما هو أثر استهلاك وسائل التثقيف على الاتصال داخل الأسرة؟
 - هل يمكن القول أن الاتصال داخل الأسرة الجزائرية تغير بعد استهلاكها للوسائل التثقيفية، أم لا؟ وهل هذا التغير في الاتصال يرجع إلى نوعية الاستهلاك التثقيفي؟
- و على هذا الأساس وضعت الفرضيات التالية كأهداف لهذا البحث:
1. وسائل التثقيف المستهلكة من طرف الأسرة تدعم الاتصال داخلها.
 2. نوعية الاستهلاك التثقيفي له علاقة بتغير الاتصال داخل الأسرة.

تحديد المفاهيم

1) مفهوم الأسرة:

تعتبر الأسرة المؤسسة الأولى المسؤولة عن بلورة الأفكار والأنماط السلوكية وترسيخ القيم والعادات والتقاليد للأفراد والجماعات، حيث يرى معظم الباحثين أن فعل الأسرة في حياة الفرد أقوى وأكثر فعالية من أي مؤسسة اجتماعية أخرى.

و فيما يلي سنعرض أهم التعاريف التي تعرضت إلى مفهوم الأسرة، ومنها مفهوم "ميردوك" « MERDOK » الذي يرى أن " الأسرة هي جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة

جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء كان من نسلهما أو عن طريق التبني⁽¹⁾

أما "ماكيفر" « *MAC.IVER* » فيعرفها على أنها "جماعة تعرف على أساس العلاقات الجنسية المستمرة على نحو يسمح بإنجاب الأطفال ورعايتهم"⁽²⁾

و يكاد يتفق التعريف الإجرائي للأسرة مع التعريفات السابقة، إذ هي "مجموعة من الأفراد في المجتمع الجزائري تربطهم روابط الدم والزواج تتمثل في الوالدين والأبناء، يعيشون تحت سقف واحد ويشكلون ثقافة مشتركة"

2) مفهوم الاتصال:

يعرف "جون ديوي" « *JEAN DIWY* » الاتصال على أنه "عملية المشاركة في الخبرة وجعلها مألوفة بين اثنين أو أكثر من الأفراد"⁽³⁾

فيما يعرفه "فريدمان" « *FREADMAN* » كالتالي "الاتصال هو إيصال الخبر بين مرسل له ومستقبل له، سواء كان المرسل شخصا أو جهاز آلي"⁽⁴⁾

و التعريف الإجرائي لهذا المفهوم يكاد يتفق مع التعريفات السابقة، فالاتصال هو: "عملية انتقال الأفكار والمعلومات والآراء بين شخصين أو أكثر باستعمال وسائل مقنعة"

3) مفهوم الثقافة:

باعتبار الثقافة مفهوم واسع، اختلف الباحثون والفلاسفة في تحديده ف"تايلور" « *TAYLOR* » يعرفها على أنها: "..... ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات، والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والعرف، والتقاليد، والعادات، وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في المجتمع"⁽⁵⁾

أما "سامية حسن السعالي" فتعرف الثقافة على أنها: "مصطلح مستعمل للدلالة على كل ما صنعه أي شعب من الشعوب، أو أوجده لنفسه من مصنوعات يدوية أو محرمات، نظم اجتماعية..." (6)

و عليه يمكن تلخيص تعريف إجرائي من التعاريف السابقة، "الثقافة هي مجموعة من المعارف والمعتقدات والقيم والعادات والأخلاق التي يكتسبها الفرد من جراء انتمائه إلى المجتمع"، وبالنسبة لموضوع الدراسة فإننا نقصد تلك الاستجابات التي تحدث على مستوى سلوك أفراد الأسرة الواحدة بسبب تأثير وسائل تثقيفية.

4) التثقيف:

إن التثقيف هو زيادة المعرفة بغير الأسلوب الأكاديمي المتبع في المدارس خاصة فيما يتصل بنواحي الحياة العامة، وتساعد هذه الزيادة على اتساع أفق الفرد وفهمه لما يدور حوله من أحداث.

أما وسائل التثقيف فهي أدوات تثقيف وترفيه تعمل على ترقية الذوق الفني والمستوى الثقافي والاجتماعي والفكري.....، فهي إذن تعتبر من مقومات الثقافة الحديثة الموجهة لجميع أفراد المجتمع باختلاف توجهاتهم، وسنهم، وهذا من خلال مضمون البرامج والموضوعات المقترحة، إذ تعتبر ذات فائدة في رفع المستوى الثقافي فهي مدرسة عامة للمجتمع تبث عن طريقها الوعي والسياسي، الثقافي، والحضاري،..... الخ

فوسائل التثقيف تعمل على تزويد الأفراد بالمعلومات والمعارف في مجالات الحياة المختلفة، وتساعدهم على تكوين المواقف الفكرية والعاطفية اللازمة لفهم حركة المجتمع والتلاؤم معها، كما تساهم في فهم أساليب السلوك الاجتماعي والقدرة على مسايرة التغيرات في مختلف الميادين، فهي تقوم بالدور الفعال في عملية تحديد تصورات الأفراد عن المهن والأدوار الاجتماعية، إذ تقدم الكثير من عادات وتقاليد الجماعات والمجتمعات المختلفة فهي بذلك تكسبهم القيم والمعتقدات الاجتماعية والسياسية السائدة في مجتمعهم والتي من شأنها أن تؤثر

على سلوكهم، فهي إلى جانب الأسرة والمدرسة تؤدي دورا رئيسيا في تكوين الأفراد وتنشئتهم نفسيا واجتماعيا ودينيا وخلقيا.

5) مفهوم وقت الفراغ:

يقصد بوقت الفراغ الوقت الذي يقضيه الفرد في ممارسة نشاطات اختيارية تتوافق وميوله، وقيمه، وظروفه الاجتماعية، والاقتصادية، والشخصية، بعيدا عن أوقات عمله الوظيفي، ويعرفه "إحسان محمد الحسن" بأنه: "الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاطات خارج نطاق عمله الوظيفي"⁽⁷⁾

بينما في المجتمع الصناعي الحديث فوقت الفراغ يعني "الوقت الذي يكون فيه الفرد متحررا من جميع أشكال الاغتراب، أي الشروط والقيود والضغوط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية التي تفرض عليه في حياته اليومية"⁽⁸⁾، بمعنى أن الفرد يختار نشاطاته دون ضغوطات خارجية قصد التمتع بها، والتي تتناسب مع ميوله وإمكانياته، وذلك في إطار عادات وتقاليد وقيم مجتمعه.

بصفة عامة يمكن استخلاص أن وقت الفراغ هو الوقت الذي يستثمره الفرد في نشاطات إيجابية تتفق مع ثقافة مجتمعه وبعيدة عن العمل الوظيفي.

6) مفهوم وقت الترويح:

وقت الترويح هو الوقت الذي يستثمره الفرد في الممارسة الفعلية لنشاطات الفراغ المختلفة التي تنفصل عن العمل الوظيفي، كنشاطات السفر والسياحة، الراحة والاستجمام، المطالعة والكتابة، مشاهدة التلفزيون والاستماع إلى المذياع، قراءة الصحف، زيارة الأهل والأصدقاء..... الخ

و من المحاولات العلمية التي سعت إلى إعطاء مفهوم موضوعي للترويح نجد محاولة "الكسندر صولي" « ALEXENDRE SOLI » الذي يعرف الترويح على أنه "نشاط اختياري أثناء وقت الفراغ وأن دوافعه الأولية هي الرضا والسرور والبهجة الناتجة عن هذا النشاط"⁽⁹⁾

في حين يعرفه "كارلسون" « KARLSON » على أنه: "يتعلق بالألوان الأنشطة التي يمارسها الفرد خارج ساعات عمله، وهو بهذا يدل على أن الفرد قد اختار بطبعه أوجه من الأنشطة لممارستها طوعا نتيجة لرغبة داخلية دامعة، وأن المشاركة في هذه الألوان من الأنشطة تمدّه بالراحة ورضا النفس"⁽¹⁰⁾

فوقت الترويح هو الوقت الذي يقضيه الفرد في ممارسة نشاط ترفيهي ينتج عنه سد أوقات فراغه وتطوير شخصيته وتحديد قواه الجسمانية والعقلية المنهكة، وتحقيق طموحاته دون انتظار رد فعل الآخرين كالمكافأة أو الشكر.

المبحث الأول: الأسرة الجزائرية

تعريف الأسرة الجزائرية:

إن الدراسات الخاصة بالأسرة الجزائرية قليلة إن لم نقل أنها نادرة، خاصة فيما يتعلق ببنائها ووظائفها، لكن من خلال الدراسات التي قام بها "محمد السويدي" في كتابه "مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري" و"مصطفى بوتفنوشت" في "العائلة الجزائرية" نجد أن الأسرة الجزائرية هي تلك الأسرة العربية الإسلامية في جوهرها، تستمد قيمها ومبادئها من المجتمع الجزائري.

و الأسرة الجزائرية في أصلها هي أسرة ممتدة حيث تعيش في أحضانها عدة أسر نووية وتحت سقف واحد تربطهم علاقات قرابة متماسكة، فالأسرة المعاصرة (الحضرية) تتميز بتقلص حجمها من النظام الأسري الممتد إلى النظام الأسري النووي، وذلك نتيجة التغيرات التي مست المجتمع الجزائري في جميع الميادين، ويقول "مصطفى بوتفنوشت": "هناك ميل يدفع بأن العائلة (النموذج) هي العائلة المسماة الزوجية"⁽¹¹⁾، إلا أنها مازالت تحتفظ بمظاهر الأسرة الممتدة، فالتماسك الداخلي بين كل أعضائها يظهر بصفة قوية، إذ أنها "تدفع الشخص إلى احترام كل أشكال المعاني والتصرفات والسلوكات في علاقته مع أقاربه"⁽¹²⁾، إذ أنها تهتم بتلقين أفرادها العادات الاجتماعية والتقاليد والأعراف السائدة داخل المجتمع، بحيث أي خروج عنها يعد انحرافا يؤدي إلى خلل أسري، وتقوم العلاقات بين أفراد الأسرة على أساس التعاون والمودة

والالتزام التام الذي يمنح الأفراد في الأسرة الشعور بالاطمئنان والاستقرار، و"يعتبر الأب فيها والجد هو القائد الروحي للجماعة العائلية وينظم فيها أمور تسيير التراث الجماعي وله مرتبة تسمح له بالحفاظ (....) على تماسك الجماعة المنزلية"⁽¹³⁾، وكانت الأسرة الجزائرية وحدة "تشكل نواة ومركز للنشاطات الاجتماعية والاقتصادية تقوم على التعاون والالتزام المتبادل والمودة"⁽¹⁴⁾.

هذا ما يسمح لها بالاستمرار والحفاظ على الروابط القوية التي تجمع بين أفراد الأسرة خاصة وأنها تهتم بإنجاب الأطفال من الجنس الذكري كسند لنشاطهم الاقتصادي.

من هنا يمكن القول أن الأسرة هي من أهم النظم الاجتماعية في التأثير على حياة الأفراد رغم التغيرات التي مست مختلف بنيتها.

فمفهوم الأسرة الجزائرية يشمل مفهوم الأسرة الممتدة والزوجية، إذ يرى "وليام جود" *WILLIAM GOOD* « في كتابه "ثورة العالم ونماذج العائلة" أنه "يوجد في الوقت الحاضر نمذجين في المجتمع العربي، العائلة التقليدية الكبيرة الحجم (....)، والعائلة النووية الصغيرة التي تتكون من الأب، والأم والأطفال"⁽¹⁵⁾.

خصائص الأسرة الجزائرية:

من خلال ما سبق يمكننا حصر أهم خصائص الأسرة الجزائرية فيما يلي:

1. الأسرة الجزائرية هي أسرة ممتدة تضم عدة أسر نووية تحت سقف واحد، أي ما يسميها "مصطفى بوتفنوشت" "الدار الكبيرة" إذ نجد من 20 حتى 60 شخص يعيشون جماعيا.
2. يحتل الأب رأس الهرم في الأسرة الجزائرية، بحيث نجده يتمتع بسلطة واسعة، فهو الذي يحدد دور كل فرد في الأسرة وبعد وفاته يواصل الابن الأكبر مهمة الإشراف على أفراد الأسرة، في حين تحتل الأم المركز الثانوي.

3. تتميز الأسرة الجزائرية باحترام أفرادها لبعضهم البعض فكل واحد يعرف مكانه في بنية الأسرة، بحيث أن الابن لا يقدم طلباته مباشرة لوالده وإنما لوالدته هي التي ترفعها إلى الزوج.
4. يعتبر الجد والجدّة هما الستار الدائم والسّميك الذي يتوارى خلفه الأبناء
5. مكانة الإناث نجدها أدنى من مكانة الذكور لكون الذكر يحافظ على اسم العائلة ويمثل مصدرا اقتصاديا، ويرى فيه الأب رفيقا له في العمل ووصيا على أمه وأخواته بعد موته⁽¹⁶⁾.
6. تقوم الأسرة الجزائرية بوظائف أساسية تشمل الإنجاب والتنشئة الاجتماعية والإعالة المادية والنفسية، فهي الجسر الذي يمر منه الأفراد إلى المجتمع.

وظائف الأسرة الجزائرية:

تعتبر الأسرة نسقا اجتماعيا كباقي الأنساق الأخرى تقوم بعدة وظائف، ولكل عضو فيها وظيفة خاصة به، ولا يمكن للفرد أداء دوره إلا في ظل قيام باقي الأفراد بأدوارهم، ومن هنا يظهر أن المهام التي يقوم بها كل فرد في المجتمع هي ضرورية لضبط توازن النسق الأسري واستمرار حياته، ومن أهم هذه الوظائف: الوظائف التربوية، النفسية، الاجتماعية، الترفيهية، كما هناك وظائف أخرى لا تتعلق بموضوع الدراسة كالوظيفة البيولوجية، والاقتصادية... الخ

أولا: الوظيفة التربوية:

تمثل الأسرة المدرسة الأولى التي يتصل بها الفرد، حيث يتلقى فيها مبادئ التربية، بذلك تكون مسؤولة عن عمليات التنشئة الاجتماعية التي تقدمها لأفرادها لتهيئتهم للمزيد من الاكتساب والمشاركة الفعالة مع باقي أفراد المجتمع، إضافة إلى كون الأسرة مسؤولة عن حماية أعضائها من الناحية الجسمية، والاقتصادية، والنفسية... الخ، كما تقوم بتعليمهم أصول الدين والتربية الأخلاقية، أي إتباع سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثانيا: الوظيفة النفسية – الاجتماعية:

تقوم الأسرة بهذه الوظيفة لتحقيق الأمن والاستقرار للأفراد، هذا من الجانب النفسي، أما من الجانب الاجتماعي فتعمل الأسرة على نقل التراث، خاصة فيما يتعلق بالقيم الاجتماعية والإيديولوجية، والحفاظ على العادات والتقاليد وترباط الأفراد ببعضهم البعض، وبالتالي بالمتجمع الذي يعيشون فيه، كما تنقل الأسرة للفرد الخبرات والثقافات الموروثة، وتقوم بوظيفة هامة، وهي تحديد المكانة الاجتماعية التي تحدد الأدوار المبدئية للفرد، فالأسرة لا تزال العامل المهم في التنشئة الاجتماعية.

ثالثا: الوظيفة الترفيهية:

كانت الوظيفة الترفيهية محصورة في الأسرة أو بين بعض الأسر، وذلك بالاستماع إلى حكايات، أو الألغاز، والتمتع بالجلسات خاصة في شهر رمضان، والترفيه بأنواعه كالبوقالات، أو السهر عند بعض الأسر، وغيرها من الأساليب التي كانت منتشرة بكثرة في أوساط الأسر الجزائرية، وبتطور التكنولوجيا ظهرت مؤسسات خاصة بالترفيه كقاعات السينما والحفلات، وحدائق التسلية، ووسائل الترفيه المختلفة كالمطالعة ومشاهدة التلفزيون أو الاستماع إلى المذياع لتدعم الوظيفة الترفيهية في الأسرة.

المبحث الثاني: العلاقات الأسرية في الأسرة الجزائرية

أولا: العلاقات الأسرية الخارجية:

و تتمثل في علاقة الأسرة بالأقارب، الجيران، الأصدقاء، ومختلف الأنظمة الموجودة في المجتمع، كالنظام الاقتصادي، الاجتماعي، والسياسي، والثقافي... الخ، فهي بذلك تؤثر فيها وتتأثر بها، بعبارة أخرى هي كل علاقة خارجة عن جو الأسرة.

ثانيا: العلاقات الأسرية الداخلية:

و تتمثل في السلوكات الداخلية لأفراد الأسرة وأفعالهم وردهم (رد الفعل) والعلاقات القائمة بينهم، وتقوم العلاقات داخل الأسرة على أسس شخصية "كما أنها مباشرة ومستمرة

وتتضمن شعورا قويا بالانتماء والارتباط الاجتماعي⁽¹⁷⁾، وهي وليدة عوامل نفسية وبيولوجية اقتصادية واجتماعية، فمن الناحية النفسية فيرتبط الفرد بالأسرة نتيجة الحاجة إلى إشباع الحاجات العاطفية، أما من الناحية البيولوجية فهي تجمع الزوج بالزوجة، والأطفال بالأم، ومن الناحية الاقتصادية فترتبط الأسرة عن طريق الاعتماد المتبادل لتوفير حاجاتها المادية في حين أن الناحية الاجتماعية فتخضع لعدة تغيرات اجتماعية فهي تسعى بذلك إلى التطور.

و العلاقات الأسرية الداخلية تتحدد من خلال ثلاثة أشكال:

أ. **علاقة الزوجين:** في الأسرة الجزائرية التقليدية انعدم الحوار بين الزوجين فكل منهما عالمه الخاص نتيجة اختلاف الوظائف، فالزوجة مسؤولة عن تدبير الشؤون المنزلية ورعاية الزوج، والحماة، والأبناء، أما الزوج فهو مكلف بالإعالة المادية والأعمال الخارجية لكن نتيجة للتغيرات التي طرأت في العصور والقرون الأخيرة على البنية الأسرية والتي أصبحت تتميز بالحوار والمشورة، زد على ذلك التعاون على تربية ورعاية الأطفال وتقاسم الأعباء التي كانت تثقل كاهل الزوجة وحدها..... وتحسنت العلاقة بين الزوج وزوجته وسادها التفاهم والاحترام والطاعة ضمن الحدود الإنسانية، وصارت هناك مشاركة في اتخاذ القرارات وهذا حفاظا على استمرارية العلاقة الزوجية في ظروف حسنة تمنح من خلالها لأفراد الأسرة وخاصة الأبناء منهم راحة نفسية وصحية وكذا عاطفية.

ب. **علاقة الآباء والأبناء:** في خضم العلاقات الأسرية التقليدية السابقة العهد كانت العلاقة السائدة بين الآباء والأبناء علاقة سيطرة تسلط خاصة في المناطق الريفية أين كانت شديدة الشيوع إذ " أن نسبة كبيرة من الآباء في الريف مازالوا يعتقدون أن علاقاتهم بأبنائهم وزوجاتهم أيضا لا بد أن تقوم على فرض السيطرة والتسلط وإصدار الأوامر، وإلا فقد الأب والزوج مكانته في الأسرة والمجتمع"⁽¹⁸⁾، ومع مرور الوقت تغيرت أوضاع الأمر والنهي بناء على تغير بنية الأسرة، إذ أصبحت علاقة الآباء بالأبناء علاقة حميمة قائمة على الحب والعطف هدفها الوصول إلى علاقة صداقة بينهم ونجاحها الذي يتوقف على طريقة بناء شخصية الأبناء ونوعية العلاقة التي تنجح في تكوينها معهم حيث هناك تكامل في الوظائف والأدوار بين الوالدين، أين

يقوم كل منهما من خلال مركز الأم والأب ببناء علاقة وطيدة، ففي الأسرة علاقة الأب بابه تظهر خاصة في المراحل الأولى من عمر الطفل أين يصبح الأب في هذه الفترة قدوة أولى ومثل أعلى، أما في مرحلة المراهقة فتصبح العلاقة علاقة يطبعها الجو الاقتصادي المادي وتختلف علاقة الآباء بالأبناء حسب اختلاف المحيط الأسري الذي يعيشونه.

ج. العلاقة بين الإخوة: "تتميز العلاقات بين الإخوة بالاتساع والشمول" (19) فهي تخضع لحجم أفراد الأسرة طريقة اتصالهم، فهناك علاقة تجمع الأخوين تكون علاقة زمالة في الصغر لتصير علاقة تفاوت عادي في الكبر فالأخ الأكبر عادة هو المسؤول عن إخوته الأصغر منه سنا الذكور والإناث على حد سواء وهذا في غياب الوالدين، أما العلاقة التي تجمع بين الأختين تشبه إلى حد بعيد علاقة الأخوين، أو ربما تكون نفسها، ففي حالة غياب الأم نلاحظ أنه دائما تنوب البنت الكبرى في تحمل المسؤولية وتحل محلها ولو بقدر ضئيل... في حين أن علاقة الأخ بالأخت تفتيمر بعلاقة اللعب في الصغر لكن بمجرد البلوغ يحدث نوع من التحفظ لاختلاف الجنس، حيث تبدأ علاقة سلوكية جديدة يسودها الحب، الاحترام والطاعة.

على العموم نجد أن العلاقات الأسرية الداخلية الصحيحة هي التي تقوم أساسا على الحب والتعاون والاحترام المتبادل، وتختلف متانة وشدة العلاقات بين الأفراد في الأسرة الواحدة باختلاف ثقافة الأسرة وقيمها وعاداتها وتقاليدها إضافة إلى نمط حياتها.

العلاقات الأسرية والاتصال:

إن طبيعة الاتصال التي تنشأ بين أفراد الأسرة تحدد فرص التقارب بينهم واندماجهم مع بعضهم البعض، إذ يسمح بتوطيد العلاقات والروابط بينهم، وتختلف هذه الأخيرة باختلاف سلوكات وأسلوب المعاملة والمكانات داخل الأسرة.

و نتيجة للتغيرات الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية التي شهدتها المجتمع الجزائري خاصة بعد الاستقلال لم يؤثر على حجم ووظائف الأسرة فحسب بل أثر على العلاقات الداخلية التي تسير وتنظم حياة أفرادها، حيث ظهر نوع جديد من العلاقات يتمشى وطبيعة التغيرات التي

عرفتها الأسرة في الوسط الحضري المصنع خاصة بعد أن غزته وسائل التثقيف التي ساهمت بقدر كبير في تنظيم الأسرة وعلى وجه الخصوص في العلاقة بين الزوجين وهذا بدخول أفكار جديدة من خلال البرامج المتلفزة والمذاعة كوسائل سمعية بصرية وكذا الجرائد والمجلات والكتب وغيرها من الوسائل، وأهم التغيرات التي طرأت على العلاقات داخل الأسرة هي:

أ. **العلاقة بين الزوجين:** كما ذكر فيما سبق أن دخول وسائل التثقيف إلى الأسرة ساهم بشكل كبير في توجيه سير العلاقات الزوجية من خلال البرامج والمواضيع التي تطرحها هذه الأخيرة، خاصة تلك المتعلقة بالشؤون المنزلية التي تبين للمرأة فنيات التدبير المنزلي إضافة على أنها تساعد على تقوية وتعزيز العلاقة بين الزوجين، وهذا من خلال ما يعرض خاصة في التلفزيون الذي يث أفلام

ومسلسلات خاصة تلك المأخوذة من الواقع العربي، أما الرجل الذي كان يقضي معظم وقته خارج البيت باعتقاده أن البيت للنساء فقط هذا ما أضعف الحياة الأسرية التقليدية. لكن بعد التحول الاقتصادي والتطور الصناعي والتحضر الذي شهده المجتمع فقد حدثت تغيرات في المواقف النفسية والاجتماعية للزوج اتجاه زوجته، والعكس، إذ أصبح بعض الأزواج يساعدون زوجاتهم في الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال، هذا ما عزز العلاقات خاصة الاجتماعية بين الزوجين.

ب. **العلاقة بين الآباء والأبناء:** فيما يخص علاقة الآباء بالأبناء فقد تميزت في الماضي إلى عهد قريب بالحوار والمناقشة والاحترام المتبادل، وبدخول وسائل التثقيف أصبح الآباء والأبناء يهتمون بالمواضيع المقترحة مما عزز الاتصال بينهم عن طريق تبادل وجهات النظر، فبعدها كانت الجلسات العائلية بين الآباء وأبنائهم تختص بأمور الأراضي والزراعة، صارت متفتحة تعالج مواضيع من مختلف المجالات، إذ أصبح الأب والابن - الآباء والأبناء عموماً - يتشاورون ويتناقشون في معظم الأمور الأسرية والتجارية، إلا أن التغير لم يقلل من الاحترام بينهم، بل بالعكس ربما زاد منه، إذ لا زال قائماً رغم التناقض الإيديولوجي وتعارض الأفكار ووجهات النظر.

ج. العلاقة بين الأبناء: أما عن علاقة الأبناء فيما بينهم فيميزها التفتح عامة بحيث أصبح الاتصال فيما بين الإخوة قوي وكبير رغم اختلاف السن والجنس، وبذلك زال الحاجز النفسي الذي كان يمنع الأخت من مجالسة أخيها حياء وحرجا من التكلم معه في مواضيع تخص الأسرة وبعدها أصبحت تبدي رأيها في معظم الأمور وتناقش فيها، وهذا التغير يرجع إلى ارتفاع المستوى الثقافي للجميع مع تغير نظرهم إلى الحياة، خاصة بدخول وسائل التشقيف التي حررت الأبناء من القيود النفسية التي وضعتها الأسرة الجزائرية التقليدية فأصبح كل من الإخوة والأخوات يعرف أسرار بعضهم، ويتعاونون على حل مشاكلهم اليومية بعدما كان كل واحد منطوي على نفسه، ولا يسمع أحد غيره بما قد يعاينه.

المبحث الثالث: وسائل التشقيف والأسرة الجزائرية

وسائل التشقيف في المجتمع الجزائري:

أولا: مرحلة ما قبل الاستقلال:

تعتبر الجزائر إحدى دول القارة الإفريقية التي تعرضت للاستعمار الاستيطاني، وهذا الأخير يمثل حلقة من حلقات الصراع بين الوطن العربي والاستعمار الأوروبي، بيد أن التاريخ يكشف أن الغزو الأوروبي للجزائر المتمثل في فرنسا يختلف شكلا ومضمونا عن الغزو الذي تعرضت له باقي دول الوطن العربي، حيث أن الاستعمار الفرنسي استطاع أن يفرض نفسه في الجزائر إلى حد ما، خصوصا في المجالين الفكري والثقافي، إذ بتأسيسه لمحطات الإذاعة والتلفزيون سنة 1956م حاول انتزاع القيم الوطنية التي يتميز بها الفرد الجزائري، وفي عام 1960م قام المستعمر بتوسيع شبكات الإرسال التلفزيونية لتغطية كل مناطق الوطن الجزائري، فنصب مركزا للإرسال بقمة جبل الشريعة، كما شيد محطة جهوية بوهران غرضها انتزاع القيم الوطنية،

والقضاء على كل ما له صلة بتراث ومقومات الشخصية الجزائرية حيث "يمكن النظر إلى الجهاز التلفزيوني في تلك الفترة كمعبر عن لغة ومؤد رسالة تمجد احتلال الجزائر وتشهر بمظاهر الفحش والخزي في سبيل إهانة الجزائري"⁽²⁰⁾.

إلا أن وسائل التثقيف هذه (المذياع، التلفزيون، المطبوعات) لم تعرف انتشارا في أوساط الجزائريين حتى لدى القادرين على اقتنائها، بحيث يحرمون أنفسهم من شراءها لأنهم مقتنعين بتعارض وتناقض برامج هذه الأخيرة مع عاداتهم وتقاليدهم ودينهم وأخلاقهم لأن "كل البرامج الغربية تخدم الوطن الأم لأصحابها وهي تسبب توترات عائلية لأنها ضد السيكولوجية الاجتماعية للعائلة الجزائرية التي لها تراثها وقيمها وعاداتها وتقاليدها"⁽²¹⁾، هذا ما جعل الأسرة الجزائرية تتجه إلى سياسة الانغلاق على نفسها للحفاظ على هويتها وشخصيتها وغلق باب المحاولات الاستعمارية لمحو هذه الشخصية العريقة.

"فالمستمتع للبرامج المقدمة يرى 25% أفلام تجارية، و20% مسرحيات، و19% منوعات، و5% برامج أطفال، و16% الجريدة المصورة، و9% المجلة الرياضية، و6% متفرقات"⁽²²⁾، وللتذكير أن مصدر هذه الأفلام والمسرحيات غربي يوحى بالجحود والازدراء للواقع الجزائري والتقليل من قيمته.

لقد عمل المستعمر على "تجهيل الجزائريين وتجريدتهم من الحس الحضاري العريق لدفعهم نحو التوحش والبدائية وطمس كل أثر لكيانهم العربي الإسلامي"⁽²³⁾، أما في مجال المطبوعات المتمثلة في الصحف والمجلات فقد كان معظمها إن لم نقل كلها ناطق باللغة الفرنسية توزع لخدمة الثقافة الاستعمارية، ولإشباع رغبات المعمرين.

و الخلاصة التي نستنتجها أن المستعمر استعمل الوسائل التثقيفية كسلاح للقضاء على الشخصية الوطنية والهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري بعد فشله في استخدام الوسائل الحديدية والأسلحة المدمرة، ومع هذا فإن الخطة الاستعمارية نجحت بنسبة محدودة جدا من خلال تلك الوسائل أمام الفرد الجزائري.

ثانيا: مرحلة ما بعد الاحتلال:

في هذه الفترة ظهرت الحاجة إلى كل فرد جزائري للنهوض بالمجتمع، وكانت هذه الحاجة وراء ازدياد المكانة الاجتماعية للفرد في الأسرة الجزائرية، وظهر ذلك في دوره ومهامه المعقدة،

وقد كان للفرد والمثقف خاصة مسؤولية على التغيير من وظائف وسائل التثقيف إلى وظيفة تخدم ثقافة المجتمع الجزائري المسلم.

و نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية تطورت إستراتيجية هذه الوسائل بتغيير الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، وبدأ هذا التحول عندما أعلن ممثل الجزائر في مؤتمر 1969م أن هذه الوسائل ليست ترفيهية فحسب بل هي تربية وتكوينية للنهوض من تخلفها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي حيث "يجب على الصحافة، الإذاعة والتلفزيون ودور الطباعة... ومعها الوسائل السمعية البصرية بجميع أنواعها أن تعمل على نشر ثقافة رفيعة مشوقة كفيلة بالاستجابة للحاجات الإيديولوجية والجمالية"⁽²⁴⁾، وفي فترة السبعينات عرفت الجزائر انتشارا كبيرا لوسائل التثقيف ذلك "الإزاحة النزعة الاستعمارية والتأكيد على الهوية الوطنية وعلى الارتباط بالتراث الثقافي الأصيل"⁽²⁵⁾، إذ في المخطط الرباعي (1970-1973) تبنّت الجزائر التلفزيون كوسيلة تربية تثقيفية تساهم في إشباع حاجات المجتمع الثقافية، فكان وراء هذا الالتزام توسع الشبكات الإذاعية والتلفزيونية، وازداد عطاءها، وتنوعت برامجها لتصل إلى كل المدن والقرى المتواجدة عبر التراب الوطني بغرض تنمية وعي الأفراد والمساهمة في تربيتهم، ومن هذا المنطق أيضا انتشرت وسائل التثقيف، إذ أصبح الفرد لا يستغني عنها، وبوسعه اقتناءها خاصة وأن المستوى المعيشي للفرد تحسن عما كان عليه في الفترة الاستعمارية، حيث أصبح بإمكان الأسرة الجزائرية أن تستهلك على الأقل وسيلة تثقيفية واحدة، والحديث نفسه يجري على الصحف، حيث عرفت انتشارا كبيرا وظهرت عناوين عديدة، فقد بلغ عدد النسخ الموزعة في اليوم إلى مليونين نسخة، هذا إلى جانب سياسة مجانية التعليم وتعميمه وانتشار المدارس ومراكز محو الأمية التي ساعدت على اقتناء الصحف وزيادة نسبة ساعات قراءتها.

و خلاصة القول أن الانتشار الواسع للتوعية التي توفرها وسائل التثقيف تجاوز حواجز العزلة الثقافية وقضى على القواعد التي حرمت فئات المجتمع من كل ما له صلة بترائه ومقوماته الوطنية.

الاتصال داخل الأسرة الجزائرية:

إذا كان الاتصال هو العملية الاجتماعية التي تجعل التفاهم بين الجنس البشري ممكنا، فهو أيضا الوسيلة التي توطد العلاقات الأسرية، إذ يعتبر المحيط الأسري أول بيئة اجتماعية يتعامل معها الفرد لاكتساب ما يحتاجه في اندماجه مع المجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية، فالأسرة هي الإطار الذي يتلقى فيه الفرد دروس الحياة.

إن طبيعة الاتصال التي تنشأ بين أفراد الأسرة تحدد بدرجة كبيرة فرص التقارب بينهم واندماجهم، وتختلف علاقاتهم باختلاف أسلوب المعاملة اليومية والمكانات، فالمرأة لها مكانة خاصة داخل الأسرة وكذا الرجل فكل عضو يختلف دوره باختلاف مكانته وبالتالي يختلف أسلوب اتصاله وهذا حسب النظام الأسري الذي تفرضه ظروف الحياة الاجتماعية في المجتمع.

فالأ أسرة تسعى إلى تأكيد ذاتها ووجودها من خلال صور الاتصال في إطار ثقافتها، فاتصال أفراد الأسرة مرتبط بثقافتها، "لأن خدمة الفرد في المجال الأسري هدف واضح محدد تسعى لتحقيقه بكل أساليبها الفنية، وتحقيق الوئام الأسري عن طريق تقديم أقصى مساعدة ممكنة"(26).

يتميز الاتصال عادة في الأسرة بنوع من التضامن والتعاون في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية خاصة تلك المتعلقة بالمواسم والأفراح والأحزان، وهذا يؤدي إلى استمرار التفاعل وبقاءه، إلا أنه لا توجد طريقة محددة تجعل الاتصال كاملا

وناجحا داخل الأسرة الجزائرية، لأن العلاقات الأسرية وليدة الجو العائلي السائد فيها، فثقافة الأفراد واختلاف أفكارهم تنمي الاتصال فيها من خلال طرح مواضيع جديدة للنقاش، لهذا فإن التواصل بين أعضاء الأسرة يتميز بشدته وقوته، أين يتمكن كل عضو فيها من التعرف على الآخر من خلال الاستجابات المختلفة، إذ أن النقاش الذي يدور داخلها يتعلق بأمورها الخاصة فعادة ما يكون النقاش بين الرجال في أمور الأرض والتجارة، أما النساء فيقوم الاتصال بينهن أساسا على أمور الزواج، وعليه فإن الاتصال في الأسرة الجزائرية كان اتصالا شخصيا^(*)

أين يتبادل فيها الأفراد المعلومات والأخبار فيما بينهم على أساس العلاقات التي تجمعهم، كما أن هذا الاتصال كان يراعي السن والجنس بحيث لا يصح للشباب مثلاً مجالسة كبار السن، كما أنهم يحرصون على أن تكون علاقاتهم واتصالاتهم مع النساء محدودة على أساس الاحترام المتبادل، لهذا فالأسرة تعتبر ممراً لنقل ثقافة وتقاليد المجتمع من جيل إلى آخر.

دور وسائل التثقيف في تغيير الاتصال داخل الأسرة الجزائرية:

تعمل وسائل التثقيف على تزويد الأفراد بالأخبار والمعلومات المتعلقة بمختلف القضايا وذلك من خلال استعمالها لرموز وألفاظ وصور يفهمها أفراد المجتمع، فالمطبوعات والمذياع والتلفزيون وغيرها من الوسائل تعمل على نشر ثقافة المجتمع ونقل الحقائق الاجتماعية بعدما كان الاتصال شخصي بين الجماعات الصغيرة أين يعرف الناس بعضهم البعض، يتحدثون ويتناقشون ويتبادلون الآراء بصفة شخصية وطريقة سهلة.

و نظراً لتعقيد الحياة الاجتماعية اخترع الإنسان وسائل جديدة للاتصال والتي أحدثت تفاعل بينها وبين المجتمع وهذا لتنظيم حياة الأفراد وتغييرها من شكل لآخر، ومن جيل إلى آخر، حيث يقول "ماك لوهان" « MAC LOOHAN » "إننا سوف نصبح سكان قرية واحدة وسوف يمسي العالم الذي نعيش فيه عالم التزام كامل يكون كل إنسان فيه موضع عناية الآخرين وذلك بفضل وسائل الاتصال بالجمهير الحديثة وفي مقدمتها التلفزيون"⁽²⁷⁾، فوسائل التثقيف ولدت مجالات عديدة للاتصال داخل الأسرة أوجدت مواضيع يتحاور حولها الأفراد، كما عملت على نشر الثقافة التي مكنتهم من مواكبة ما يحدث في العالم والتعرف على مشاكل غيرهم لتجنبها، إضافة إلى أنها تطرح مواضيع مختلفة في جميع الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والسياسية.... الخ

و باعتبار وسائل التثقيف تربية-تثقيفية، وترفيهية بالدرجة الأولى تدعم عملية الاتصال بين أفراد الأسرة، فإنها تزيد من فرص اجتماعهم وكونها "ترفع إمكانيات الاتصال الجماعي وتقوي تلاحم الجماعات الذين يأخذون منها حواراً متبادلاً مع بعضهم البعض"⁽²⁸⁾، كما أنها توطن العلاقات الأسرية وتضعف مجالات الاتصال من خلال طرح مواضيع للمناقشة خاصة في

الأسرة المثقفة التي تميل إلى تبادل الأفكار والآراء ووجهات النظر حول المواضيع المقترحة، هذا ما يزيد من اقتراحهم وتفاعلهم مع بعضهم البعض وبالتالي تتوسع دائرة الاتصال، أما في الأسرة غير المثقفة فإن هذه الوسائل تعمل على تقليص الحوار والاكتفاء بالمشاهدة والاستماع فقط دون إثارة المناقشة، فهي بذلك تحدث خلافات ونزاعات مستمرة بين أفراد الأسرة بسبب عدم الاتفاق على المشاهدة أو الاستماع إلى مواضيع موحدة.

من جهة أخرى فوسائل التحقيق تعمل على إهدار وتقليص وقت اتصال أفراد الأسرة مع بعضهم البعض فمثلاً عند مطالعة كتاب أو جريدة أو حتى مجلة، فإن الفرد يكتسب أفكار ومعلومات خاصة إذا كانت مستمرة (المطالعة) ودون مشاركة الأسرة في مضامينها فإنها تجعله مغتربا عنها، وبذلك تصبح وسيلة للتهرب من الجو الأسري وإهمال الوظائف الأسرية مما يحدث خلل في نظامها فهي "بالمقابل تساهم في تقليص حجم الأحاديث التي يتبادلونها حول أمورهم الحياتية المختلفة"⁽²⁹⁾، كما أنها إذا استعملت بمشاركة الأسرة في ذلك سواء كان بإدلاء الرأي ومناقشته أو التعليق على أمر ما فإنها تعمل على إثراء الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة.

الخلاصة:

لم تعد تمثل وسائل التحقيق وسائل للترفيه فحسب بل أصبحت تمثل مصدرا للمعلومات والأخبار السياسية والثقافية والاجتماعية وحتى التربوية، وهذا راجع إلى طبيعة البرامج التي تعرض بصورة هادفة ومخطط لها وفقا لأهداف مالكيها.

وتتعدد وسائل التحقيق بين المكتوبة والمسموعة والمرئية، ويعتبر التلفزيون أكثرهم تأثيرا نتيجة خصوصيته والتي استطاع أن يملك الكبير والصغير المرأة والرجل وبالتالي الأسرة التي ظهر فيها تغيرات في علاقاتها الداخلية والخارجية، أما في علاقاتها الداخلية فيظهر من خلال ماتعلمته المرأة وخاصة الأمية والمكانة في البيت من طرق التعامل مع الزوج والأبناء إلى جانب أمور ترتيب المنزل وكيفية إدارته، ومن جهة أخرى تقلصت فرص الاتصال الأسري ولم يعد هناك وقت للجلوس معا كما كانت عليه من قبل، أما العلاقات الخارجية أو القرابية فتراجعت بشكل كبير نتيجة الاستغلال الكلي للتلفزيون لوقت فراغ افراد الأسرة.

قائمة المراجع:

- 1- عاطف، وصفي. الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ، ص.91
- 2- محمد عاطف، غيث. قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1979، ص.176
- 3- حسين، عبد الحميد أحمد رشوان. العلاقات العامة والإعلام، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1987، ص.259
- 4- زهير، إحدادن. مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص.11
- 5- primitive culture، TAYLOR(E) نقلا عن سامية، حسن الساعاتي. الثقافة والشخصية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص.35
- 6- نفس المرجع، ص.27
- 7- إحسان، محمد الحسن. الفراغ ومشكلات استثماره، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص.11
- 8- نفس المرجع، نفس الصفحة.
- 9- 10- نفس المرجع، ص.13
- 11- مصطفى، بوتفوشة. العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، تر (أحمد ديمري)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص.36
- 12- Michel, André. La sociologie de la famille et du mariage, presses universitaire de France, Paris, 1978, P.95.
- 13- مصطفى بوتفوشة، مرجع سابق، ص.37
- 14- حليم، بركات. المجتمع العربي المعاصر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص.175
- 15- إحسان، محمد الحسن. العائلة والقربا والزوج، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص.86-87.
- 16- Pierre, Bourdieu. Sociologie de l'Algérie, Presses universitaire de France, paris, 1985, P14.
- 17- محمود، الحسن. الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص.89
- 18- سناء، الخولي. الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص ص 61- 62.
- 19- محمود، الحسن. مرجع سابق، ص.247
- 20- عبد الحميد، حيفري. التلفزيون الجزائري واقع وآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص.30
- 21- نفس المرجع، ص.31

- 22- نفس المرجع، ص.32
- 23- نفس المرجع، ص.33
- 24- 25- نفس المرجع، ص ص 40- 64.
- 26- محمد، سلامة غباري. الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب، شركة مكتبات عكاظ، الرياض، 1983، ص.71
- 27- مارشال، ماك لوهان. كيف نفهم وسائل الاتصال، ترجمة(خليل صابات وآخرون)، دار النهضة العربية، بيروت، 1975، ص.30
- 28- Gysperdt, Axel, télévision et participation a la culture, vie ouvriere, Bruxelles, 1972, p108.
- 29- عبد الله، بوجلال. عمار، بوجلال. (أثار التلفزيون على الأطفال)، مجلة البحوث، العدد 1، 1992- 1993، ص.69.

